الأهرام

المصدر :
التاريخ :

مصير الشيشان و"الإرهاب الإسلامي"؟

عبد الله الأشعل *

■ يلح الإعلام الدولي بشدة في الوقت الراهن على ترويج مصطلح «الإرهاب الإسلامي» بوصفه عنواناً لظاهرة خطيرة تتطلب تعاوناً دولياً لاستئصالها.

وألحت على هذا المصطلح تصريحات رسمية إسرائيلية وروسية، وتصريحات مشتركة تستخدم ما يشير اليه بشكل او بآخر، صادرة عن أوساط أوروبية - روسية، ووردت في سياق تناول مشكلة الشيشان.

والغريب أن هذه التصريحات تناقلها الصحافة العربية بالتفصيل وكأنها أمر عادي لا يستحق اهتمام المحللين والمعلقين.

وإذا كان مصطلح «الإرهاب الإسلامي» يستخدم الآن ليرسخ في الإدراك ان الإرهاب يصنف حسب ديانة مرتكبيه وأن مرحلة ربط الإرهاب بالإسلام، تطورت الى تجسيده، في كل ما هو إسلامي، فإن مؤدى هذه الرسالة أن الكل يجب أن يدافع عن الحضارة ضد هذا الخطر، وأن على المسلمين خصوصاً ان يبرئوا ساحتهم من هذا الوباء الجديد بالتضامن على مواجهته. كما أن مؤدى هذه الرسالة يمتد ليجعل الاتفاق على تعريف للإرهاب في مؤتمر دولي أضحى أكثر تعقيداً أو عسراً.

والمصطلح كما هو واضح، يشير فقط الى تلك الاعمال التي يقوم بها اهل الشيشان في مواجهة الروس، علماً انه وضع على هذا النحو لكي يحقق اهدافاً ثلاثة بشكل فوري. الهدف الاول ان مساندة اهل الشيشان هي مساندة للإرهاب وانتصار له، والهدف الثاني هو ان مساندة الروس ضد الشيشان «جهاد» ضد الإرهاب، والهدف الاخير هو تصوير مساندة إسرائيل وأوروبا والولايات المتحدة لموقف روسيا خصوصاً في قمع الشيشان ليس مجاملة سياسية فقط، ولكنه ايضا موقف مبدئي يجب ان يلتف العالم كله حوله ليخلص البشرية من شر «الإرهاب الإسلامي».

غير أن قصر المصطلح على الشيشان لا يمنع امتداده الى افغانستان والجزائر واعمال حزب الله في لبنان والمقاومة الإسلامية في فلسطين والحجاب في تركيا وحادث القطار في فرنسا، بما ان المتورط فيه مسلم فرنسي، وأخشى ان تتسع تطبيقات المصطلح فيطال موقف الأزهر من رواية «وليمة لاعشاب البحر».

والحق أن تفنيد مصطلح «الإرهاب الإسلامي» لا يتحقق بمجرد التشديد على أن الإسلام دين سلام وتسامح واستنارة، كما لا يكفي فيه القول بانه كما أن هناك إرهاباً إسلامياً، فهناك ايضا إرهاب مسيحي في ايرلندا وغيرها وإرهاب يهودي في إسرائيل راح ضحيته اسحق رابين. هذا النهج يضر بالقضية ويخلط بين الأضداد ويسوي بين الغث والسمين. ونقطة البداية عندنا قد تستقيم بغرز التطبيقات التي قد يغطيها المصطلح والكشف عن دوافع إطلاقه والاطراف والبيئة التي ظهر فيها وروجت له.

فلا شك ان الصراع في افغانستان هو صراع سياسي ليست له علاقة بالإسلام سوى ان أطرافه مسلمون، ويدور في ارض تنتسب الى ديار الإسلام، كما أن قتل الناس الابرياء والتمثيل بهم في الجزائر لا يمكن تبريره بأي دين او منطق، وان احتجاز الرهائن من جانب بعض الجماعات الإسلامية في الفلبين قد يكون هدفه جمع المال او التنبيه الى أزمة المسلمين في هذا البلد.

وعلى الجانب الآخر لا بد من التشديد على ان احتلال إسرائيل للاراضي العربية ورفض احترام التسويات او القرارات الدولية بشأن انسحابها يجعل مقاومة المحتل ودفع بطشه دفاعاً مشروعاً يتعين مساندته والاعتزاز به.

وأخيرا فإن القسم الثالث الذي

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

يثير اللبس هو قضية الشيشان وما هي طبيعتها وما هو وجه الحق فيها. ولا بد من الاعتراف في هذه الجزئية، بأن جوانب القضية لا تلتبس إلا على المغرضين ومن في قلوبهم مرض. فالشيشان أرض وشعب وثقافة وتاريخ تختلف في جملتها عن الروس. ولكن الشيشان تقع في الأرض التي يسيطر عليها الاتحاد الروسي. ورغم أن تميز الشيشان عن الروس وبطش الروس بهم والتنكيل بالمدنيين منهم كان كفيلاً بأن يضمن لهم دعم العالم لحقهم، في تقرير المصير، وحمايتهم من الانتهاكات الفادحة لحقوق الإنسان. إلا أن مصالح الجميع بمن فيهم العالم الإسلامي جعل الحديث عن هذه الانتهاكات يدور في همس وحياء، وعلى سبيل إبراء الذمة. بل إن الرئيس كلينتون خلال لقائه الرئيس الروسي بوتين يوم ٤ حزيران (يونيو) ٢٠٠٠ بعد أن أحبطه عدم تجاوب الروس مع مقترحاته بشأن نظام الدفاع الصاروخي، ألمح بما يشبه محاولة الضغط على الروس الى أن سير الأمور في الشيشان من دون حل سلمي بما يتضمنه من خسائر بشرية لا يتفق مع منطق التسوية السياسية المأمولة، وان تقارير الهيئات الدولية عن الانتهاكات الصارخة لحقوق الإنسان لا بد ان تلقى اهتماماً بإجراء تحقيقات مستقلة في ما ورد فيها.

وهكذا تغلبت المصالح على المبادئ بشكل فاضح، وأصبح التباين والتمايز بين السياسات إزاء القضايا محل تساؤل واستنكار.

وقلنا مراراً إن من حق شعب الشيشان ان يتمتع بخصائصه المتميزة حتى في اطار الاتحاد الروسي وفق صيغة مرضية تكفل العيش المشترك، وأن قتاله للروس من أجل رد بطشهم والدفاع عن مقوماته القومية هو جهاد لا علاقة له بالإسلام إلا بقدر ما ينطوي عليه ذلك البطش من دوافع دينية. ولذلك فإن العالم الإسلامي يجب أن ينضم الى الأصوات المطالبة بتسوية المشكلة تسوية سياسية، وان يحاسب المسؤولون عن المذابح وانتهاكات حقوق الإنسان أياً كان مرتكبها، وان يعلن في غير تهيب أن من حق الشيشان أن يقرر أهلها مصيرهم، ولا يهم بعد ذلك أن يكون هذا القرار في صورة دولة مستقلة أو شركة سياسية مع الروس. ولا يجوز أن تحجب تبعية الشيشان القسرية للاتحاد الروسي حق الشيشانيين في تقرير مصيرهم، وحق المقاومة الشيشانية في تأكيد ذلك والعيش بعيداً عن شبح الإبادة او الاضطهاد، وهي المبادئ نفسها التي يدافع عنها الغرب.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية